

الفصل الأول

العرب والفرس قبل الإسلام

قلب الجزيرة العربية هو الينبوع الدافق لموجات العرب في العراق والشام ومصر والبلاد الناطقة بالضاد ، وبهمنا من هذه الموجات في هذا البحث تلك التي نزلت الهلال الخصيب واستوطنته . فإن الفساسة كونوا مملكة شرقي الشام^(١) ونزل المناذرة العراق فأسسوا مملكة الأحلاف في الحيرة والأنبار وكان ملوك الحيرة مرتبطين بعهد مع الأكاسرة يؤدون إليهم الخراج ويعينون من قبلهم^(٢) .

وكانت قبائل آياد تشتت في بوادي الجزيرة وتصيف بالعراق وكانت لكثرتها تسمى طما لانطباقها على البلاد^(٣) ويحدثنا المؤرخون عن علاقة العرب ببحيرانهم الفرس شتى الأحاديث فمرة تكون صفاء ، ومرة حرباً شعواء ، من ذلك ما فعله سابور ذو الأكتاف (٣١٠ - ٢٧٩) حيث غزا بلاد العرب فغور مياهم ، وأوقع بهم فلماً غزاه ملك الروم أسرعت قبائل العرب فأوقعت بسابور وقتلته وغنمت أمواله ، وكان العرب يسمونه ذا الأكتاف لأنه كان لجوره يخلع كتفي عدوه إذا وقع في يده^(٤) .

ويقول التبريزي في شرحه لمعلقة الحارث عند ذكر البيت (٤٩) :
لم يكن في نزار حي أكثر من آياد ، ولا أحسن وجوها ولا أمد أجساما

(١) اليعقوبي ج ١ ص ٢٥٣ الطبري ج ٢ ص ١٠٣٥

(٢) ط ج ٢ ص ٩٤٦

(٣) ابن خلدون ج ٢ ص ١٧٠

(٤) اليعقوبي ج ١ ص ١٨٣ ، ابن خلدون ج ٢ ص ١٧٣

ولاً أشد امتناعاً ، وكانوا لا يعطون الأتاوة واحداً من الملوك ، وقد هزموا جيوش كسرى أنوشروان ثلاث مرات . وكتبت قبائل بكر بن وائل في منتصف القرن السادس الميلادي صفحة جديدة في تاريخ العرب في واقعة ذي قار وكانوا ينشدون هذا البيت :

يا قوم طيبوا بالقتال نفساً أجدر يوم أن تفلوا الفرساً^(١)
ومن الصفاء ما حدثوا به عن سيف بن ذي يزن استعان بملك الفرس
على الأحباش فأمدّه بالجيوش واشترط عليه دفع الأتاوة فلما هزمت
الحبشة بقيت اليمن مرتبطة مع الفرس حتى جاء الإسلام ففُضّ خذمة
هذا الارتباط^(٢) .

العرب والفرس في صدر الإسلام

لما استتب الأمر لابي بكر عنى بالعراق والشام ، وجاءه المشنى بن حارثة الشيباني فقال له ، أمرني علي من قبلي من قومي ، أقاتل من يليني من أهل فارس وأكفيك ناحيتي ، فكتب أبو بكر إلى خالد وهو مقيم باليمامة أن سر إلى العراق حتى تدخلها وأبدأ بفرج الهند وهي الأبله وتألف أهل فارس ومن في ملكهم من الأمم^(٣) .

وطلب إلى المشنى أن ينضم إلى لواء خالد فصار القائد أن يسير معهما النصر كلها اتقيا بجيش من جيوش الفرس حتى وصلا الحيرة ، نفلا خالد بكل صاحب قصر وقال :

« ويحكم ما أتم ؟ .. أعرب فما تنقمون من العرب ؟ .. أو عجم فما تنقمون من الأنصاف والعدل ؟ .. » فقال له عدي : « بل عرب عاربة وأخرى

(١) ط ج ٢ ص ١٠٢٦

(٢) ط ج ٢ ص ٩٤٤ ، ٩٤٦ سيرة بن هشام ص ٤٢

(٣) ط ج ٤ ص ٢٠١٦ — ٢٠١٨

متهربة . فقال : « لو كنتم كما تقولون ! لم تحادونا وتسكرهوا أمرنا ! »
فقال له عدى : « ليدلك على ما نقول ، أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية »
فقال : « صدقت . فاختاروا واحدة من ثلاث أن تدخلوا ديننا فلكم
مالنا وعليكم ما علينا ، إن نهضتم وهاجرتم وإن أقمت في دياركم ، أو الجزية ،
أو المنابذة والمناجزة ، فقد والله أتيتم بقوم هم على الموت أحرص منكم
على الحياة » ، فلما قال عدى : « بل نعطيك الجزية » ، غضب خالد وقال :
« تبالسكم ! ويحكم ! إن الكفر فلاة مضلة فأحق العرب من سلكها
فلقيه دليلاً أحدهما عربي فتركه واتخذ الأعمى دليلاً »^(١) .

وتوجه المشى إلى عين التمر ففتحها وقتل وسبي ، وبعث بالسبي إلى أبي بكر
فكان أول سبي قدم المدينة من العجم^(٢) ثم وجه خالد إلى مرازمة أهل
فارس رسالة جاء فيها :

أما بعد : فالحمد لله الذى فض خدمتكم ، وسلب ملككم ووهن
كيدكم ، وأنه من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم
الذى له مالنا وعليه ما علينا ، فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إلى بالرهن واعتقدوا
منى الذمة وإلا فوالله الذى لا إله غيره لأبعثن إليكم قوما يحبون الموت
كما تحبون الحياة .

فلما قرءوا الكتاب أخذوا يتعجبون^(٣) .

ولما آل الأمر إلى عمر بن الخطاب وجه جلّ عنايته إلى العراق وقال :
والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب ، فلم يدع رئيساً ولا ذا رأى ولا
شريفاً ولا ذا سلطة ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به ، فرماهم بوجوه
الناس وغرهم^(٤) . فعين أبا عبيد بن مسعود الثقفي قائداً أعلى ولكنه

(٢) ط ج ٤ ص ٢٠٧٧

(١) ط ج ٤ ص ٢٠٤١

(٣) ط ج ٤ ص ٢٠٢٠

(٤) ط ج ٤ ص ٢٢٢٣

قتل في واقعة الجسر^(١) وتول القيادة بعده المشني فالتحم مع الفرس في واقعة البويب ، ثم أسند عمر القيادة العليا إلى سعد بن أبي وقاص وأمر المشني وجريير بن عبد الله أن يجتمعا إلى سعد فالتحم الفريقان بحرب فاصلة .
وقدم فرسان بني كنانة والأزد على عمر . فقال لهم : أي الوجوه أحب إليكم ؟ ... قالوا : الشام — أسلافنا — أسلافنا . فقال : قد كفيتموه العراق — العراق — ذروا بلدة قد قتل الله شوكتها وعددها (الروم) واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش (الفرس)^(٢) .

فلما انتهى العرب من واقعة البويب جلسوا يتحدثون فيما بينهم وأخذ المشني يكلمهم فقال : « قد قاتلت العرب والعجم في الجاهلية والإسلام ، والله لمائة من العجم في الجاهلية كانوا أشد على ألف من العرب ، ولمائة اليوم من العرب أشد على ألف من العجم . إن الله أذهب مصدوقتهم ووهن كيدهم فلا يروعنكم زهاء ترونه ، ولا سواد ولا قسي فج ولا نبال طوال ، فإنهم أن أعجلوا عنها أو فقدوها كانوا كالبهائم ، أينما وجهتموها اتجهت^(٣) .

وجاء في كتاب أبي عبيدة بن الجراح إلى سعد : « إنك تقدم على أمة عددهم كبير وعدتهم فاضلة وبأسهم شديد وعلى بلد منيع ، وإن كان سهلا كؤود لبحوره وفيوضه ودأدئه إلا توافقوا غيضا من فيض ، وإذا لقيتم القوم أو واحدا منهم فأبدعهم الشد والضرب وإياكم والمناظرة لمجوعهم ، ولا يخدعنكم فإنهم خدعة مكرة أمرهم غير أمركم إلا أن تجاوروهم^(٤) .

ولما نزل العرب القادسية عجز أهل السواد إلى يزيد جرد بن شريار

(٢) ط ج ٤ ص ٢١٨٧

(٤) المصدر نفسه ص ٢٢٢٢

(١) ط ٢١٨٤

(٣) ط ج ٤ ص ٢١٨٤

ملك العجم وأرساوا إليه أن العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشبه إلا الحرب ، فإن أبطأ عنا النيات أعطيناهم بأيدينا .

فأرسل يزيدجرد إلى رستم وقال له : إني أريد أن أواجهك في هذا الوجه وإنما يعد للأمر على قدرها^(١) ثم قال يزيدجرد لرستم : « صف العرب منذ نزلوا القادسية وصف لي العجم وما يلقون منهم » فقال رستم : « صفة ذئاب صادفت غرة من رعاء فأفسدت » فقال ليس كذلك ، وإنما سألتك رجاء أن تعرف صفتهم فأقويك لتعمل على قدر ذلك فافهم عني »

« إنما مثلهم ومثل أهل فارس كمثل عقاب أوفى على جبل يأوى إليه الطير بالليل فتبيت في سفحه في أوكارها فلما أصبحت تجلت الطير فأبصرته يرقبها فإن شذ منها طائر اختطفه . فلما أبصرته الطير لم تنهض من مخافته وجملت كلها شذ منها طائر اختطفه فلو نهضت نهضة واحدة رده . وأشد شيء يكون في ذلك أن تنجو كلها إلا واحداً وإن اختلفت لم تنهض فرقة إلا هلكت فهذا مثلهم ومثل الأعاجم فاعمل على قدر ذلك » .

وهكذا عرفت كل أمة من الأمم شدة بأس الأخرى وقوتها وأخذت تستعد لمناجرتها في حروب طاحنة وأسر وسبي وما إلى ذلك من نتائج تبعثها مثل هذه الحروب التي تقوم على نشر مبدأ أو تحقيق هدف معين .

المواقع الفاصلة بين العرب والفرس

موقعة القادسية — موقعة جلولاء — وموقعة نهاوند

جاء في كتاب أبي عبيدة بن الجراح إلى سعد : « وإذا انتهيت إلى القادسية ، والقادسية باب فارس في الجاهلية ، وهي أجمع تلك الأبواب

(١) ط ج ٥ ٢٢٤٨ . المصدر نفسه .

لما دلتهم ، وهو منزل رغب خصب دونه قناطر ، وأنها ممتنعة ، فتكون مسالحك على أنقابها ، ويكون الناس بين الحجر والمدر ، وعلى حافات الحجر وحافات المدر ، والجراخ بينهما . ثم ألزم مكانك فلا تبرحه ، فإنهم إن أحسوك أنقضتهم ورموك بجمعهم . . . فان أتم صبرتم لعدوكم ، واحتسبتم لقتاله ، ونوئتم الأمانة ، رجوت أن تنتصروا عليهم ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبدا ، إلا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم .

وإن تكن الأخرى كان الحجر في أدباركم ، فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حجر من أرضكم ، ثم كنتم عليهم أجراً وبها أعلم . وكانوا عنها أجبن وبها أجهل ، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ويرد لكم الكرة . في هذا الموقع المنيع اشتبك جيش العرب بجيش الفرس بملحمة دامت ثلاث ليال ، أشدها الليلة الثالثة التي يقول فيها أنس بن الحليس : شهدت ليلة الهريز فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون . ليلتهم حتى الصباح أفرغ عليهم الصبر أفراغا ، وبات سعد بليلة لم يبت مثلها ، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط ، وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد وأقبل سعد على الدعاء ، حتى إذا كان وجه الصبح وانتهى الناس أستاذل بذلك على أنهم الأعلون وأن الغلبة لهم (١) .

انهزم الفرس إلى ديرة ومنها إلى المدائن ، فتبعهم العرب حتى وصلوا إلى القصر الأبيض ، وقد تحصن به الفرس . فعرض عليهم العرب واحدة من ثلاثة : اختار الفرس منهن الجزية . ودخل سعد المدائن حتى انتهى إلى إيوان كسرى ، فصلى ركعتين ثم تلا الآية :

« كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوماً آخرين » (٢) .

وأصيب من الفرس في موقعة جلولاء عدد عظيم إذ جللت قتلاهم الأرض . وسميت هذه الموقعة « جلولاء الوقبة »^(١) . وأصاب المسلمون بها من الفتيء أفضل ما أصابوا بالقادسية وأسروا ابنة كسرى .

ثم طلب العرب من عمر أن يأذن لهم في اتباعهم فأبى ، وقال : « لوددت أن بين السواد والجليل سداً لا يخلصون إلينا ولا نخلص لهم ، حسبنا من الريف السواد . إنى آثرت سلامة المسلمين على الأنفال »^(٢) .

ولما فتح المسلمون الأهواز قال : حسبنا لأهل البصرة سوادهم والأهواز ، وودت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم »^(٣) .

أما في موقعة نهاوند فقد تكاثب العجم في أرضهم جميعاً ثم أجمعوا أن يوافوا نهاوند ويبرموا فيها أمورهم . فلما التقوا قلبوا الأمور وعرضوا المواقف وقالوا : « إن محمداً الذي جاء العرب بالدين لم يفرض غرضنا ، ثم ملكهم أبو بكر من بعده فلم يفرض غرض فارس ، إلا في غارة نعرض لهم فيها ، وإلا فيما يلي بلادهم من السواد . ثم ملك عمر من بعده فطال ملكه وعرض حتى تناولكم ، وانتقصكم السواد والأهواز وأوطأها ، ثم لم يررض حتى أتى أهل فارس والمملكة في عقر دارهم . وهو آتيكم إن لم تأتوه . فقد أخرج بيت ملكتكم واقتحم بلاد ملككم . وليس بمنته حتى تخرجوا من في بلادكم من جنوده وتقبضوا على هذين المصريين ، ثم تشغلوه في بلاده وقراره » .

وتعاهدوا وكتبوا بينهم على ذلك كتاباً وتماثوا عليه^(٤) ، وكتب سعد إلى عمر يخبره بمؤتمر العجم ، ولم يكتف بذلك بل ذهب إلى الخليفة

(١) ط ج ٥ ص ٢٤٤٣ (٢) المصدر نفسه ص ٢٤٦٤ (٣) ص ٣٥٤٥ .

(٤) ط ج ٥ ص ٢٦٠٥ — ٢٦٠٨ .

بنفسه ، فلما بلغ عمر الخبر نادى في الناس ، الصلاة جامعة ! ! . فاجتمع الناس وقد وافاه سعد . فقام عمر على المنبر وقال : « هذا يوم له ما بعده من الأيام ، ألا وإني قد هممت بأمر وإنى عارضه فاسمعوه ، ثم أخبروني وأوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريجكم ، ولا تسكتروا ، ولا تطيلوا فتفشغ بكم الأمور ، ويلتوى عليكم الرأي .

أفمن رأى أن أسير فيمن قبلي ومن قدرت عليه حتى أنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين ، فأستنفرهم ثم أكون لهم ردها حتى يفتح الله عليهم . . . ؟ فقام عثمان وطاحنة والزبير وعبد الرحمن بن عوف في رجال من أهل الرأي فتكلموا كلاما فقالوا « لا نرى ذلك ولا يغيب عنهم رأيك . وأشرك ، . وقالوا : « بإزائهم وجوه العرب وفرسانهم وأعلامهم ، ومن قد فض جمعهم ، وقتل ماو كهم ، وبأشر من حروبهم ما هو أعظم من هذه ، وإنما استأذنوك ولم يستصرخوك ، فأذن لهم ، واندب إليهم ، وادع لهم ، (وكان الذي ينتقد له الرأي إذا عرض عليه ، العباس) .

ثم قام على بن أبي طالب فقال : « أصاب القوم — يا أمير المؤمنين — الرأي ، وفهموا ما كتب به إليك ، وإن هذا الأمر لم يكن نصره وخذلانه بكثرة ولا قلة ، هو دينه الذي أظهره ، وجنوده الذي أعزه وأيده بالملائكة حتى بلغ ما بلغ ، فنحن على موعود ، والله منجز وعده وناصر جنده ، ومكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه ويمسكه ، فإن انحل تفرق ما فيه وذهب ثم لم يجتمع بخدافيره أبدا . والعرب اليوم وإن كانوا قليلا ، فهم كثير عزيز بالإسلام . فأقم واكتب إلى أهل الكوفة فهم أعلام العرب ورؤساؤهم ، ومن لم يحفل بمن هو أجمع وأجد وأحد من هؤلاء . فليأتهم الشاشان وليضم الثلث . واكتب إلى أهل البصرة أن يمدوهم ببعض من عندهم » . فسر عمر بحسن رأيهم ، وأعجبه ذلك . وقام

سعد وقال : « يا أمير المؤمنين خفض عليك فإنهم إنما جئوا لنقمة (١) » .
ثم قال عمر : فأشيروا على برجل أوله ذلك الشجر غدا . قالوا :
« أنت أفضل رأيا وأحسن مقدرة » ، قال : « أشيروا على به ، واجعلوه
عراقيا . قالوا : « يا أمير المؤمنين أنت أعلم بأهل العراق ، وجندك قد
وقدوا عليك ، ورأيهم وكابهم » . فقال : « والله لأولين أمرهم رجلا
ليكونن لأول الأسنة إذا لقيها غدا » . فقيل : من يا أمير المؤمنين ؟ . .
فقال : النعمان بن مقرن المزني ، قالوا : هو لها ، والنعمان يومئذ بالبصرة
ومعه قواد من قواد أهل الكوفة (٢) .

ولقد أجمع الفريقان على ملاقاته كل صاحبه الملاقاة الأخيرة . فقد
قال أحد العرب في ذلك الحين : والله ما علمت من المسلمين أحدا يريد أن
يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يظفر ، فحملنا حملة واحدة وثبتوا لنا فما كنا
نسمع إلا وقع الحديد ، حتى أصيب المسلمون مصائب عظيمة ، فلما رأوا
صبرنا وأنا لا نبرح العرصه ، انهزموا ، فجعل يقع الواحد فيقع عليه
سبعة (فقد كانوا مقرنين بالسلاسل) بعضهم على بعض في قياد فيقتلون
جميعا ، وجعل يعقرهم حسك الحديد الذي وضعوه خلفهم .

فقال النعمان : « قدموا اللواء فجعلنا نقدم اللواء وقتلهم ونهزمهم
فلما رأى أن الله استجاب له ، ورأى الفتح ، جاءته نشابة فأصاب
خاصرته فقتلته (٣) فكان أول قتيل ، وأخذ الراية أخوه سويد ، ففتح
الله على المسلمين ، ولم يكن للفرس جماعة بعد يومئذ ، فكان أهل كل مصر
يغزون عدوهم في بلادهم (٤) وجاء رسول مسلمة بن قيس — أحد قواد
العرب — إلى عمر ، فقال : « يا أمير المؤمنين سرنا حتى لقينا عدونا
من المشركين ، فدعوناهم إلى ما أمرتنا به : الإسلام فأبوا ، فدعوناهم إلى

(١) ط ج ه س ٢٦٠٩ . (٢) ط ٢٦١٤ .
(٣) ط ج ه س ٢٦٠٤ . (٤) المصدر نفسه ص ٢٦١٥ .

الخراج فأبوا ، فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم . فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية
وجمعنا الرثة^(١) فلما قدم سبي نهاوند إلى المدينة جعل أبو لؤاؤة فيروز —
غلام المظيرة بن شعبة — لا يلقى منهم صغيراً إلا مسح رأسه وقال :
« أكل كبدي عمر^(٢) » .

اختلاط العناصر بعد هذا الفتح

وأثر هذا الاختلاط في التقاليد والعادات

بهذه المواقع الفاصلة التي مر ذكرها وغيرها مما لم نذكره انفتحت
ثغور فارس والهند وشرعت الجزيرة العربية تبعث بأفلاذ أكبادهما من
جميع القبائل لنصرة الإيمان وتوطيد أكناف الخلافة ، ففتحوا الأقاليم
وغلّبوا عليها الأمم والدول وانتشرت القبائل والبطون والأخذ :
قريش وكنانة ، وخزاعة وبنو أسد ، وهذيل وخطفان وسلم وهوازن ،
وثقيف وسعد بن بكر وعامر بن صعصعة ، ثم بنو تغلب بن وائل وكافة
شعوبهم من بني يشكر وبني حنيفة وبني عجل ، وبني ذهل بن شيبان ، وتيم
الله ، وابن النمر بن فاسط ، وعبد القيس ومن إليهم ، ثم الأنصار : الأوس
والخزرج وشعوب غسان وسائر قبائل الأزدي وهمدان وخثعم وبجيلة
ومذحج وكافة بطونها والنخع والأشعرين وبني الحرث بن كعب ، ولحي
وبطونها ، وكندة وملوكها وسبأ وقضاعة وجميع بطونها و الخ .

كل هؤلاء وغيرهم أنفقتهم الجزيرة العربية وافترقوا على الثغور
البعيدة والأقطار البائنة ونزلوا بها حامية ومرابطين ، عسبا وفرادى^(٣)

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٠٢ (٢) ط ج ٥ ص ٢٦٣٢

(٣) اقرأ هذا مفصلاً في تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٢

يحملون معهم فضائل الجزيرة من الشجاعة والمروءة والاعتزاز بالشرف والوفاء والصدق والإيمان ، وتناقل الملك فيهم من عنصر إلى عنصر ومن بيت إلى بيت واستفحل ملكهم في دولة بني أمية وبني العباس من بعدهم بالعراق ، وبلغوا من الترف والبذخ ما لم تبلغه دولة من دول العرب والعجم من قبلهم ، فاستخدموا العبيد ، واصطنعوا الموالى^(١) وأقبلوا على زواج الفارسيات وتسرى الإماء والاختلاط بالشعوب التي تقطن في البلاد المفتوحة وظهر هذا الأثر بينا في الأماكن المأهولة بالفرس ، فكان من ذلك ظهور عادات جديدة بين الأسر العربية خاصة منهم الأمراء وقواد الجيوش والبلاط ، والذين دخلت الزوجات والسراري الفارسيات بيوتهم . فقد حدثنا الطبري : أن دينار من أسرة آل قارن إحدى الأسر الفارسية المشهورة كان يختلف إلى الكوفة ، فقام مرة في الناس خطيباً وقال : يا معشر أهل الكوفة ، أنتم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس ، فعمرتم بذلك زمن عمر وعثمان ، ثم تغيرتم ، وفشت فيكم خصال أربع : بنخل وخب وغدر وضيق ، ولم يكن فيكم واحدة منهن ، فرمقتمكم ، فإذا ذلك في مولديكم فعلتم من أين أتيتم ، فإذا الخب من قبل النبط ، والبنخل من قبل فارس ، والغدر من خراسان ، والضيق من قبل الأهواز .

وقد شعر العرب أنفسهم بأثر هذا الاختلاط وشكوا منه مر الشكوى ، قال الرياشي الشاعر :

إن أولاد السراري كثروا يا رب فينا

رب أدخلني بلادا لا أرى فيها هجينا^(٢)

وصور أبو العلاء المخرى هذا الامتزاج تصويراً لطيفاً^(٣) وقال العالم

الألماني « كريمر » في مقدمته لديوان أبي نواس : « دخلت بلاط الخليفة

(٢) الكامل المبرد ص ٣٠٢

(١) ابن خلدون ٦ ص ٣

(٣) لزوميات ص ٤٤٦

في إعداد أغاني الفرس و لغة الفرس و أخلاقهم و أعيادهم ، و زاد على ذلك في كتابه « تاريخ الثقافة » و لقد كانت نتيجة هذا الاختلاط — الذي حاول عمر الأول بكل جهده أن يحول دونه — مع الشعوب المغاوبة واضحة ، فإن الجنس الحاكم قد اكتسب كمية و فقد كيفية ، لقد أضاع كثيراً من فضائل العشييرة ، بحيث تغير الجنس ، فأصبح الإنسان سريع القبول للعادات السيئة من الشعوب المحكومة ، و لكن الذي يجب أن يذكر هو ما اكتسبه العنصر الحاكم من الثقافات العلمية من اليونان و الفرس^(١) .

عن تلك المواقع الفاصلة و الفتح العظيم ، نشأ السبي و العتق و الولاء و الاختلاط و الامتزاج و الاقتباس و تكونت طبقة الموالي التي سنفصل البحث فيها ، و التي ذكرت هذه المواقع تمهيداً لها ، فإن الذي لا يعرف موقعة القادسية و جلولاء و نهاوند و غيرها ، يصعب عليه معرفة منشأ الموالي و لا يستطيع أن يقول إن فلاناً مولى فلان ، و فلاناً معتق لفلان .

(١) كريم : ديوان أبي نواس ص ١١ ، تاريخ الثقافة ج ٢ ص ١٥٠ .